المقطع الثامن

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَإِنْ قالَ: أَتُنْكِرُ شَفاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَبْرَأُ مِنْها؟ فَقُلْ لا أُنْكِرُها، وَلا أَتَبَرَّأُ مِنْها، بَلْ هُوَ ﷺ الشَّافِعُ المُشَفَّعُ، وَأَرْجُو شَفاعَتَهُ، وَلكِنَّ الشَّفاعَةَ كُلَّها للَّهِ، كَما قالَ تَعالَى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]. وَلا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللَّهِ، كَما قالَ تَعالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَلا يَشْفَعُ فِي أَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ، كَما قالَ تَعالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وَهُوَ لا يَرْضى إِلَّا التَّوْحِيدَ كَما قالَ تَعالَى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. فَإِذا كانَتِ الشَّفاعَةُ كُلُّها لِلَّهِ، وَلا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِهِ، وَلا يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلا غَيرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهِ، وَلا يَأْذَنُ إِلَّا لأَهْلِ التَّوْحِيدِ = تَبَيَّنَ أَنَّ الشَّفاعَةَ كُلَّها لِلَّه، وَأَطْلُبُها مِنْه، فَأَقُولُ: اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنِي شَفاعَتَه، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ، وَأَمْثالُ هَذا.

فإِنْ قالَ: النَّبِيُّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّفاعَةَ، وَأنا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطاهُ اللَّهُ.

فالجَوابُ: أَنَّ اللَّهَ أَعْطاهُ الشَّفاعَةَ، وَنَهاكَ عَنْ هَذا، وَقالَ تَعالَى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. وَطَلَبُكَ مِنَ اللَّهِ شَفاعَةَ نَبِيِّهِ ﷺ عِبادَةٌ، واللَّهُ نَهاكَ أَنْ تُشْرِكَ فِي هَذِهِ العِبادَةِ أَحَدًا، فَإِذا كُنْتَ تَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُشَفِّعَهُ فِيْكَ فَأَطِعْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. وَأَيْضًا، فَإِنَّ الشَّفاعَةَ أُعْطِيَها

غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ فَصَحَّ أَنَّ المَلائِكَةَ يَشْفَعُونَ، والأَفْراطَ يَشْفَعُونَ، والأَوْلِياءَ يَشْفَعُونَ. أَتَقُولُ: إنَّ اللَّهَ أعْطاهُم الشَّفاعَةَ، فَأطْلُبُها مِنْهُمْ؟ فَإنْ قُلْتَ هَذا رَجَعْتَ إلَى عِبادَةِ الصَّالِحِينَ التِي ذَكَرَها اللَّهُ فِي كِتابِهِ. وانْ قُلْتَ: لا، بَطَلَ قَوْلُكَ: أعْطاهُ اللَّهُ الشَّفاعَةَ، وَأنا أطْلُبُهُ مِمَّا أعْطاهُ اللَّهُ.

الشرح:

الشبهة الخامسة: دعاء النبي ﷺ طلبا لشفاعته التي أعطاه الله إياها.

العرض:

يقولون: شفاعة النبي ﷺ ثابتة متواترة في الأحاديث، ولا يستطيع أحدٌ إنكارَها.

وإذا تقرر ذلك، فنحن حين نطلب الشفاعة منه ﷺ؛ نطلب شيئا ثابتا في الشرع، فكيف تنكرون علينا طلبَ ما أثبته الله ورسوله ﷺ؟!.

النقض:

ستكون مناقشة هذه الشبهة في مبحثين – إن شاء الله –:

المبحث الأول: تعريف بالشفاعة:

وذلك في مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الشفاعة:

الشفاعة في اللُّغة: مأخُوذة من الشَّفع، الذي هو ضد الوتر. وقد أقسم الله به في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾ [الفجر: ٣], يعني: كل شفع وكل فرد.

والشفع: الزوجي، والوتر: الفردي، بلغة الرياضيات المعاصرة.

ومعناها في اللغة يدُل على ضمِّ شيئين ومقارنتهما، فالواحد إذا ضمَمْتَه إلى آخر صارا اثنين. وكذلك الشفاعة؛ فإنَّ الشافع يأتي مع المشفوع له، فصارا اثنين. هذا أصلُ الاشتقاق اللغوي.

والشفاعة في الاصطلاح: التوسُّط للغير بجلْبِ منفعة أو دفع مضَرَّة.

المسألة الثانية: أقسام الشفاعة:

يُقسِّم العلماء الشفاعة إلى قسمين:

القسم الأول: شفاعةٌ مُثبَتة: وهي ما جاء الشرع بإثباتها.

القسم الثاني: شفاعةٌ مَنْفِيَّة: وهي الشفاعة التي يتشبث بها المشركون قديما وحديثا، والتي زيَّن لهم الشيطان أعمالهم وشِرْكهم بسببها؛ فصرفوا أنواعا من العبادات لهؤلاء المخلوقين والمقبورين بدعوى طلب الشفاعة، وهي مسألة ذكرها القرآن عَرْضًا ورَدًّا.

قال تعالى: ﴿**أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ**﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤].

أنكر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على أولئك المشركين بالله آلهتهم التي يعبدونها لتكون شفعاء، تشفع لهم عند الله في حاجاتهم, ثم أمر رسوله ﷺ أن يقول لهم:

أتتخذونها شفعاء كما تزعمون، ولو كانت الآلهة لا تملك شيئا، ولا تعقل عبادتكم لها؟!.

ويوم القيامة تطيش العقول، وتحِل الحسرات، ويُخذَل المشركون، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

المسألة الثالثة: أمثلة للشفاعة المثبتة باعتبار الشافع:

١- شفاعة الرسول ﷺ. ولها صُوَر:

أ- الشفاعة العُظمى لأهل الموقف.

ب- الشفاعة في استفتاح باب الجنة.

وهاتان الشَّفاعتان خاصَّتان بالنَّبي ﷺ.

ج- **الشفاعة في تخفيف العذاب عمَّن استحقه**: والمقصود بها شفاعته لعمِّه أبى طالب.

د- الشفاعة فيمن دخل النار من أهل الكبائر، أن يخرُج منها:

وهذه شفاعته ﷺ في عُصاة المُوحِّدين الذين دخلوا النار، فيشفعُ لهم في خروجهم منها.

٢- شفاعة الملائكة:

كما في حديث الشفاعة الطويل يقول الله - عزَّ وجلَّ -: «**شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**»(١).

٣- شفاعة النبيين.

٤- شفاعة المؤمنين.

٥- شفاعة الشهداء.

٦- شفاعة بعض الأعمال الصالحة: ومن ذلك: القرآن والصيام.

المسألة الرابعة: شروط الشفاعة:

مع إثبات الشفاعة، فلا بد لها من شرطين دلت عليهما الأدلة:

الشرط الأول: إذْنُ الله للشافع أن يشفع.

والشرط الثاني: رضا الله - تعالى - عن المشفوع له.

قال تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا**﴾ [طه : ١٠٩]، وفي قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ**﴾ [الأنبياء: ٢٨].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) واللفظ له، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المبحث الثاني: شبهات المخالفين حول الشفاعة:

المخالفة في هذا الباب لها صورتان:

الصورة الأولى: أن تُطلَب الشفاعة من النبي ﷺ.

وصورة ذلك أن يقول الرجل: يا رسول الله, اشفع لي عند الله؛ فقد أسرفت على نفسي بالذنوب، ونحو ذلك.

وقد يقولها عند قبره، أو بعيدا عنه.

الصورة الثانية: طلب الشفاعة من الصالحين بدعائهم والاستغاثة بهم.

وسبق الحديث عن الصورة الثانية، والمقصود هنا الصورة الأولى.

والجواب عما أوردوه في النقاط الآتية:

أولا: فرق بين ثبوت الشفاعة، وبين كيفية طلبها.

بمعنى أنه لا يكفي ثبوت الشفاعة مع طلبها بصورة مخالفة للشرع، بل لا بد من الأمرين: ثبوت الشفاعة، وأن يكون طلبها بالطريق الشرعي الصحيح.

ثانيا: طلب الشفاعة من النبي ﷺ من جنس الدعاء، والدعاء لا يصرف إلا لله – تعالى – بإخلاص.

ومن أراد شفاعة النبي ﷺ بصدق؛ فليتأمل هذا الحديث:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفاعَتِكَ يَوْمَ القِيامَةِ؟ فَقالَ ﷺ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ - يا أَبا هُرَيْرَةَ - أَنْ لا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِما رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ. أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفاعَتِي يَوْمَ القِيامَةِ، مَنْ قالَ: (لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ)، خالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**»(١).

فكلما كان المرء محقِّقا للتوحيد الخالص، بأن يُفرد الله - تعالى - بجميع أنواع العبادة من الدعاء وغيره؛ كان أسعدَ وأقرب لتلك الشفاعة.

والذي قضى بهذه الشفاعة للنبي ﷺ جعل لها شروطا كما سبق، ومنها: الرضا عن المشفوع له، والله - تعالى - لا يرضى الشرك، ولا يقبل إلا الطيب، وهو التوحيد، والشرك نجس.

فالشفاعة كلها لله, قال تعالى: ﴿**قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا**﴾، فلا أطلبها إلا منه، فأقول: اللّٰهم لا تحرمني شفاعة نبيك ﷺ، اللّٰهم شفِّعه فيَّ، وأمثال هذا.

فالذي أعطى نبيه ﷺ الشفاعة، نهاك عن طلبها منه، فقال: ﴿**فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا**﴾ [الجن: ١٨].

ثالثا: ثبتت الشفاعة لغير النبي ﷺ كما سبق، فهل تقول: إن الله أعطاهم الشفاعة، وأنا أطلبها منهم؟.

فإن قال: لا، وقع في التناقض والاضطراب.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٩ و٦٥٧٠).

وإن قال: نعم، فقد وقع في دعاء المخلوق والاستغاثة به، وسبق بيان هذه القضية.

- وقد ذكر الشيخ ممَّن يشفع: الأفراط، وهم: الصغار الذين ماتوا قبل البلوغ. وورد فيهم أحاديث؛ منها: عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنَ النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ، يُتَوَفَّى لَهُ ثَلاثٌ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ**»(١).

رابعا: استدل بعضهم بقوله تعالى:﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾[النساء: ٦٤].

قالوا: فنحن نمتثل الآية، فإذا ظلمنا أنفسنا ووقعنا في الهفوات والزلات؛ جئنا إلى النبي ﷺ وطلبنا منه الشفاعة عند ربنا بمغفرة الذنوب.

والجواب عنها من أوجه:

١- أن ﴿**إِذ**﴾ في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ**﴾، ظرف لما مضى، وليست ظرفا للمستقبل؛ فلم يقل الله: «ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم»، بل قال: ﴿**إِذ ظَّلَمُوٓاْ**﴾. فالآية تتحدث عن أمر وقع في حياة الرسول ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٨, ١٣٨١), من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه مسلم (٢٦٣٤), من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

واستغفار الرسول ﷺ بعد مماته أمرٌ متعذر؛ لأنه إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث[1]، كما قال ﷺ.

فلا يمكن لإنسان بعد موته أن يستغفر لأحد؛ بل ولا أن يستغفر لنفسه – أيضا –؛ لأن العمل انقطع.

والآية واردة في سياق الحديث عن بعض المنافقين الذين تحاكموا إلى الطاغوت، وقد أُمِروا أن يكفروا به، ولهذا قال تعالى بعد الآية المذكورة: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥].

٢- أنه لو كان معناها كما ذكرتُم؛ أن كل من وقع في ظُلمٍ لنفسه ذهب إلى قبر النَّبي ﷺ، فيلزم على ذلك أن يكون قبره ﷺ أعظمَ الأعياد والمجتمعات؛ لأنه لا يخلو مسلمٌ مِن ظُلم لنفسه، ويكون القبرُ عيدا مكانيا عظيما، وهذا عينُ ما نهى عنه النَّبي ﷺ بقوله: «**لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا**»[2].

٣- أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين عايشوا التنزيل، وهم أفقه الناس في معاني القرآن؛ لم يفهموا هذا المعنى، ولم يُنقَلْ عن أحد منهم أنه إذا وقع في ذنب أو خطأ أو هفْوة، ذهب إلى قبر النَّبي ﷺ! ولو كان هذا مشروعا، أو مفهوما من الآية،

---

(١) ينظر: صحيح مسلم (١٦٣١).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٠٤٢) بلفظ «لا تجعلوا»، وأحمد (٨٨٠٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

لكانوا أسبقَ الناس إليه. ولهذا طلبوا الدعاء من العباس عمِّ النَّبي ﷺ، مع أن النَّبي ﷺ عندهم في المدينة، لو كان هذا جائزا. قال عُمر بن الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللَّهُمَّ إنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بِنَبِيِّنا فَتَسْقِيَنا، وإنا نَتَوَسَّلُ إليكَ بعَمِّ نَبِيِّنا فاسْقِنا، قال: فَيُسْقَوْن(١).

خامسا: الاستدلال ببعض الحكايات:

وحكاياتهم وقصصهم في ذلك كثيرة! ومن أشهرها:

الأولى: حكاية العُتْبِيِّ:

وهي ما جاء عن محمد بن عبيد الله العُتبي، قال: دخلتُ المدينة فأتيت قبر النَّبي ﷺ، فزُرْتُه وجلست بحذائه، فجاء أعرابي فزاره، ثم قال: يا خير الرسل، إن الله أنزل عليك كتابا قال فيه: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾ [النساء: ٦٤]، وإني جئتك مستغفرا من ذنوبي، مستشفِعًا فيها بك, ثم بكى وأنشد يقول:

يا خير من دُفِنت بالقاع أعْظُمُه ... فطاب من طيبهن القاعُ والأكَمُ

نفسي الفِداءُ لقبر أنت ساكنُه ... فيه العفافُ، وفيه الجودُ والكرمُ

ثم استغفر وانصرف.

قال العُتبِي: رقَدْتُ فرأيت النَّبي ﷺ في منامي، وهو يقول: الحَق الرجلَ، وبشِّره أن الله قد غَفَرَ له بشفاعتي. قال: فطلبتُه فلم أجدْه.

---

(١) تقدم تخريجه.

وهذه الحكاية ذكرها أيضا بعض أهل السُّنة والعِلم، كالموفَّق ابنُ قدامة في كتابه «المغني»، لكنه ذكرها بصيغة التمريض[1].

الثانية: حكاية الأعرابي بعد دفن النبي ﷺ:

ذُكِر عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قدم علينا أعرابيٌّ بعد ما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام، فرمَى بنفسه على قبر النَّبي ﷺ، وحثا من ترابه على رأسه، وقال: يا رسول الله، قُلتَ فسمعنا قولَك، ووعيْتَ عن الله فوعينا عنك، وكان فيما أُنزل عليك: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾ [النساء: ٦٤]، قد جئتُك، يا رسول الله، وقد ظلَمْتُ، وجئتُك تستغفر لي، فنُودي من القبر: قد غُفِر لك[2].

والجواب عن هاتين الحكايتين:

أنهما حكايتان باطلتان، ليس لهما خِطام ولا زِمام، ومثل هذا لا تُناط به الأحكام، فضلا عن عَقْد العقائد في مثل هذه المسائل الكبار!.

●●●

(١) ينظر: «المغني» (٣/ ٤٧٨). والقصة أخرجها ابن عساكر في «معجم الشيوخ» (١/ ٥٩٩) وآخرون، وذكرها ابن عبد الهادي في «الصارم المُنكِي» ص ٢٥٢، وفنَّد أسانيدها.

(٢) ذكرها المتقي الهندي في «كنز العمال» من غير عزو، وفندها ابن عبد الهادي - أيضا - في «الصارم المُنكِي» ص ٣٢٢.